خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٦/٠١/٢٩

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين).

يقول المسيح الموعود عليه السلام بأن الله تعالى خفيّ ولكنه يُعرف بقدراته، ويُعرف وجوده بواسطة الدعاء. كل شخص، سواء كان ملِكا أو إمبراطورا، يواجه حتما من المشاكل ما يتركه عاجزا أمامها ولا يدري ماذا يفعل. ففي مثل هذا المواقف تُحَلّ المشاكل بالدعاء.

لقد بيّن المسيح الموعود عليه السلام أهمية هذا الأمر من مختلف الجوانب وبأساليب مختلفة. وقد أدرك صحابته عليهم السلام هذا الأمر جيدا، فكان إيمانهم ويقينهم بالدعاء بسبب صحبة المسيح الموعود عليه السلام قويا لدرجة كان الأغيار أيضا متأثرين بهم إلى درجة كبيرة. وكذلك أتباع الأديان الأخرى من أصحاب الصلة بالأحمديين كانوا يقرّون بأن أدعيتهم تجاب بكثرة. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه بأن حادثا ذُكر عند المسيح الموعود فضحك عليه السلام بسماعه كثيرا. كان الحادث يتعلق بمنشي أروري خان الذي كان يأتي إلى قاديان في أوائل الأيام بكثرة، ولكن بعد ذلك كلِّف ببعض المهام لذا تعذر عليه الحصول على إجازة على فترات متقاربة، ولكنه مع ذلك كان يزور قاديان كثيرا. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: أذكر عندما كنت صغيرا كان مجيئه إلى قاديان يتسم بصبغة كأن أحدا يلتقي بعد سنين أخاه الذي انفصل عنه منذ مدة طويلة. فكان يلتقي حضرته عليه السلام بحب وإخلاص كبيرين كأنه لقيه بعد سنين طويلة. يقول حضرته رضي الله عنه بأن حادثا ذُكر في مجلس المسيح الموعود عليه السلام حيث قال الراوي بأن منشي أروري خان يُخيف القاضي أيضا، ثم قال بأن منشي أروري خان قال للقاضي: أريد الذهاب إلى قاديان، فأرجو أن تسمح لي بالذهاب، ولكن القاضي رفض طلبه. في تلك الأيام كان منشي المحترم يعمل في مكتب القاضي على مستوى المحافظة، فقال له: إنني أريد الذهاب إلى

قاديان في كل الأحوال فأرجوك أن تسمح لي بذلك، قال القاضي: العمل كثير فلا أستطيع أن أسمح لك الآن. قال المنشي: حسنا، فليستمر عملُك. إنك تقول بأن العمل كثير فاستمِر في العمل ويمكنك ألا تعطيَني إجازة ولكن إن لم تسمح لي بالذهاب سأبدأ بالدعاء على ألا يستوي العمل الذي تريده. فمُني القاضي بخسارة ملحوظة حتى خاف بشدة وتأثر من هذا الحادث لدرجة كان يقول كل يوم سبت للعاملين في المحكمة: انـــهُوا عمل اليوم سريعا بعض الشيء حتى لا يفوت قطارُ منشي أروري خان، أي أنه سيسافر إلى قاديان بالقطار فأسرِعوا حتى لا يفوته القطار. وهكذا كلما كان منشي المحترم ينوي السفر إلى قاديان كان القاضي يعطيه إجازة تلقائيا خائفا دعاءه.

فهؤلاء الناس كانوا قد أثّروا في الآخرين أيضا بصلاحهم ودعائهم. هذا ما يجب أن نضعه في الحسبان في هذه الأيام ونقوّي علاقتنا بالله تعالى أكثر فأكثر دائما.

سأسرد لكم الآن بعضا من الأحداث والسوانح للمسيح الموعود عليه السلام التي رواها المصلح الموعود رضي الله عنه وهي ضرورية لتربيتنا ولارتقائنا الروحاني. يوجد في العالم أناس ذوو طبائع وحواس مختلفة. تكون حواس بعضهم مرهفة أكثر من غيرهم. والبعض يكونون متعودين على طقس معين أو ما شابه ذلك بناء على ظروف خاصة، وتكون الظروف نفسها قاسية لبعض آخرين، بمعنى أنهم يكونون مرهفي الحس تجاهها لعدم اعتيادهم عليها، أو تكون طبائعهم حساسة بوجه عام. باختصار، إن الإحساس بالبرد أو الحر أو الرائحة الكريهة أو الزكية يتعلق برهافة الحس أو عدمه عند بعض الناس. إن حواس الإنسان تُظهر هذا الفرق. إن أغلبية الناس يكونون مرهفي الحس من حيث أنهم يشعرون بالبرد والحر والرائحة الزكية والكريهة. والذين لا يشعرون بها فلا يقدرون على إثبات أنه ليس للأشياء المذكورة تأثيرات. هناك أناس يعيشون في مناطق تهطل فيها الثلوج بكثرة فيشعرون بالبرد أقل نسبيا، وأيضا نرى أناسا يشعرون بالبرد كثيرا فترتعد أقدامهم بالبرد ويلبسون جوارب سميكة، وفي الوقت نفسه نرى آخرين لا يلبسون الجوارب أصلا في مثل هذا الطقس ويقولون بأن أقدامهم دافئة، وتُلاحَظ مثل هذه الأحاسيس. ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد برد أو ليس له تأثير لأن الغالبية من الناس يكونون حساسين جدا.

باختصار، يوجد للأشياء المذكورة تأثيرات ويحسّ بها معظم الناس وبذلك يظهر الفرق بينهم. على أية حال، لقد ضرب المصلح الموعود رضي الله عنه مثلا ماديا للفرق بين الحواس بذكر المسيح الموعود عليه السلام، فقال بأنه عليه السلام ذكر أن بعض الناس كانوا يتحدثون فيما بينهم في مدينة بأن تأثير السمسم حار جدا، ولا يمكن لأحد أن يأكل رُبع كيلو غرام منها، وإذا أكلها سقط مريضا فورا. هذه هي حالة غالبية الناس أي لا يمكن أن يأكل أحد رُبع كيلو غرام من السمسم ثم لا يمرض. وفي أثناء الحديث قال أحدهم: لو أكل أحد رُبع كيلو غرام من السمسم لأعطيته خمس روبيات جائزة. وفي هذه الأثناء مرّ بقربهم فلاح، والمعلوم أن الفلاحين يكونون معتادين على أكل أشياء غير ناضجة وعلى الأكل الكثير أيضا لأنهم يقومون بعد ذلك بأعمال شاقة، أو بعض الناس يملكون طبائع من هذا النوع.

باختصار، كان الفلاح المذكور يملك طبيعة قاسية وقوية، فسمع كلامهم بكثير من الاستغراب والحيرة وقال في نفسه: الأمر غريب حقا أن ينال المرء خمس روبيات جائزة على أكل شيء لذيذ! أي إذا أكل أحد السمسم سيُعطى خمس روبيات جائزة كما قيل. فتقدم الفلاح إليهم وقال: هل المطلوب أن يؤكل السمسم مقشَّرًا أم غير مقشر؟ وذلك لأنه لم يستوعب كيف يمكن أن يُعطى أحد خمس روبيات جائزة على أكل السمسم مقشرًا، فكان جاهزا على أكله غير مقشر مع أن المتحاورين كانوا يحسبون أكل السمسم بهذا القدر مستحيلا. إذًا، هناك فرق هائل بينهم. فهناك أشخاص يحسبون أكل رُبع كيلو غرام من السمسم مستحيلا وشخص آخر مستعد لأكله غير مقشر ويظن أن أكلها مقشرًا أمر ممتع، فكيف يمكن نوال خمس روبيات جائزةً على ذلك؟

فهناك فروق كبيرة بين الحواس عند الناس، وهذا المبدأ سائد في العالم الروحاني أيضا، فترون أن الصلاة مثلا تؤثر على شخص أكثر وتؤثر على غيره أقل منه. فيصلي البعض الصلوات ظاهريا إذ ينقرون بعض النقرات وينصرفون دون أن تترك الصلاة فيهم أدنى تأثير. فلن تُقبل لإثبات الحواس الروحانية إلا شهادة الذين توجد فيهم هذه الحواس أكثر والذين يتأثرون أكثر، والذين يعبدون وتأثير العبادة يظهر فيهم.

فيجب أن يكثر في الجماعة أناس ذوو الحواس التي تَقبل التأثيرات الروحانية أكثر، ثم ليخبروا الناس الآخرين كيفية الصلاة الحقيقية والعبادة الحقيقية، وما هي الحاسة التي يجب إنشاؤها لهذا الغرض.

لقد بيّن المصلح الموعود ﷺ هذا الموضوع من منطلق آخر ولكن يتبين من ذلك أيضا أنه عندما كان يأتي المسيحَ الموعودَ عليه السلام علماء كبار ذوو فطرة نبيلة كانوا يتشرفون ببيعته أيضا.

كان الخليفة الأول ﷺ يروي أن شيخا كان عالما كبيرا في علم الصرف والنحو، وكان معروفا بعلمه الغزير في الهند كلها، ويملك طبيعة بسيطة لدرجة إذا رآه شخص لم يعرفه من قبل كان يظن أنه شخص عادي جاء بعد العمل في الحقول أو هو أجير عادي. كان اسمه المولوي خان ملك. سمع هذا العالم عن ادّعاء المسيح الموعود عليه السلام ثم جاء إلى قاديان وآمن به عليه السلام بعد سماع كلامه. وعندما وصل إلى لاهور عائدا إلى بيته أراد أن يقابل المولوي غلام أحمد في الطريق. كان المولوي غلام أحمد يلقي درسا في المسجد الملكي بلاهور وكان في سابق عهده تلميذا للمولوي خان ملك. كان المولوي غلام أحمد عالما معروفا جدا. ولما كان سكان لاهور ميسوري الحال كان وضع المولوي غلام أحمد المالي أيضا جيدا جدا وكان مئات الطلاب يدرسون على يده. وصل المولوي خان ملك إلى المسجد الملكي ولكن الطلاب ما كانوا يعرفون المرتبة التي يحتلها، فانخدعوا ببساطة مظهره وشخصيته، وحَسِبوه شخصًا عاديًا. فسأله "المولوي غلام أحمد": من أين جئت؟ قال: مِن قاديان. فسأله في حيرة: مِن قاديان؟ قال: نعم، من قاديان. قال: لماذا ذهبت إلى هناك؟ قال: لأنضم إلى أتباع حضرة المرزا. قال: إنك عالم كبير، فماذا رأيت فيه حتى أصبحت من مريديه؟ فقال له باللغة البنجابية ما معناه: دَعْك مِن هذا، فإنك لم تتقن بعد "قال ويقول" فلا تفهم هذه الأمور.

ولما كان"المولوي غلام أحمد" من مشاهير العلماء، استشاط تلاميذه غضبًا وقالوا لِـــ "المولوي خان ملك": ماذا تقول أيها الشيخ الهرم؟! فمنَعهم أستاذهم المولوي غلام أحمد وقال: اسكتوا، فإن ما يقوله كلام سليم.

فكان هناك أمثال هؤلاء الناس سعيدي الفطرة الذين كانوا ينضمون إلى بيعة المسيح الموعود عليه السلام، والذين لم يكن لديهم أدنى عناد ولا تكبر بعلمهم.

كذلك يذكر المصلح الموعود رضي الله عنه واقعة أخرى ويقول: جاء أحد العرب في زمن المسيح الموعود عليه السلام، ولما كان هؤلاء يأتون سائلين بعض المساعدة غالبا، فلأجل ذلك عندما أراد المغادرة بعد مكوثه لعدة أيام أعطاه المسيح الموعود عليه السلام شيئا من النقود كأجرة للسفر إلا أنه رفض أخذها، وقال بأنني سمعت ادعاءك أنك مأمور من الله فجئت للتحقق في الأمر و لم آت لأخذ شيء آخر. كان هذا الأمر جديدًا لأنه لم يأت إلى الآن إلى هذه المنطقة أحد من دون أن يكون سائلا المساعدة المالية (أي في ذلك الزمن). فلما رأى المسيح الموعود عليه السلام ذلك قال له بأن يمكث لعدة أيام أخرى، فرضي. فعيّن حضرته بعض أصحابه لتبليغه. استمر معه النقاش لعدة أيام دون أن يؤثر فيه شيئًا. وفي نهاية المطاف قال هؤلاء المبلّغون للمسيح الموعود عليه السلام: إنه متحمس جدًّا، وليس كالذين يأتون سائلين المساعدات، ويبدو أنه يبحث عن الحقيقة، (كما نجد مثل هذه الرغبة بفضل الله تعالى في معظم الإخوة العرب الذين ينضمون الآن إلى الأحمدية) لأجل ذلك نرجوك أن تدعو له، لأنه لا يفهم الأمر من خلال التبليغ. فقد دعا له عليه السلام فأُخبِر بأنه سيهتدي. ومن عجائب قدرة الله تعالى أنه في تلك الليلة نفسها تأثر بأمر ما لدرجة بايع في الصباح التالي، ثم غادر.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: لقد أُخبِرتُ عندما ذهبت للحج أن هذا الأخ بلّغ الأحمدية عديدًا من قوافل الحجاج. فكان أهل القافلة يضربونه حتى يغمى عليه، إلا أنه عند استعادته الوعي كان يهُبُّ ويتوجه إلى قافلة أخرى ويبلغهم.

وعليه فلا تنشرح الصدور إلا عندما يشرحها الله تعالى وبعد ذلك يتولد لدى المرء الحماس المثالي الذي بوجوده لا يكترث بأية مشكلة أو صعوبة ولا يبالي.

وذكر المصلح الموعود رضي الله عنه واقعة أخرى وقال: إن أول من أسلم في زمن المسيح الموعود عليه السلام من الإنجليز أو بالأحرى من الأميركان هو السيد "أليكسندر رسل ويب" الذي كان يعمل في السفارة الأميريكية في الفلبين. فلما انتشرت إعلانات حضرته عليه السلام في أوروبا وأميريكا نشأت في قلبه رغبة في اعتناق الإسلام، فبدأ بمراسلة المسيح الموعود عليه السلام التي أدت إلى إسلامه، ثم وقف حياته لنشر الإسلام. وبعد ذلك جاء إلى الهند أيضا وأبدى رغبته في لقاء المسيح الموعود عليه السلام إلا أن المشايخ قالوا له (أي مشايخ المنطقة التي جاء إليها لعلها كانت لاهور أو أية مدينة كبيرة أخرى) إن التقيت بالسيد مرزا فلن يتبرع لك المسلمون ولن تتلقى من المسلمين شيئًا من أجل إنجاح خطتك لنشر الإسلام. فنتيجة لتأليبهم إياه لم يلتق بالمسيح الموعود عليه السلام، وعاد من هناك يائسًا في النهاية؛ و لم يساعده هؤلاء المسلمون. لقد قيل له بأن المسلمين غير الأحمديين سوف يساعدونك كثيرا في مهمة نشر الإسلام ولكنهم لم يمدّوا له

يد العون. فكتب رسالة إلى المسيح الموعود قبيل وفاته عليه السلام وقال فيها: لقد تحشمت كثيرًا من العناء والآلام لعدم الإصغاء لنصيحتك. لقد قلتَ لي سلفا أن المسلمين فقدوا حماس خدمة الدين، إلا أنني لم أسلّم بهذا الأمر وكانت النتيجة أنني حرمت من لقائك. على أية حال، ظل هذا الشخص مسلمًا إلى آخر حياته وبقي على علاقة مخلصة مع المسيح الموعود عليه السلام. وهكذا صار هو المسلم الأول في أميركا.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: أرى الآن أيضا أن الجماعة تتقدم في أميركا أكثر مقارنةً بالدول الأوروبية. لا شك أن الأحمدية تنتشر في بعض البلاد الأوروبية أيضا وهي أيضا تقع في غرب العالم إلا أن بوادر رقي الجماعة في أميركا تلوح على نطاق أوسع.

وفّق الله تعالى جماعة أميركا للبحث عن أمثاله -من أصحاب الفطرة الصالحة- وبذلِ السعي لجمعهم تحت راية النبي ﷺ، وينبغي أن تقوم لذلك بسعي مكثف ومخطّط ومتين، وذلك لكي تتحول أمنية المصلح الموعود رضي الله عنه إلى حقيقة. لا شك أنه في زمن ما قد دخل كثير من الناس في أميركا في الأحمدية وظلوا متشبثين بالأحمدية بكل قوة ولكن الكثيرين منهم لم تستطع ذرياتهم التمسك بالأحمدية، إما لميلهم إلى الدنيا أو لقلة التواصل مع الجماعة، أو ربما كانت هناك أسباب أخرى لذلك أيضا. على أية حال، ينبغي على جماعة أميركا أن تبذل سعيها في هذا المجال.

كيف كانت علاقة المسيح الموعود عليه السلام مع الأطفال، وكيف كان يهتم بتربيتهم، يقول عن ذلك المصلح الموعود رضي الله عنه: الطريقة الصحيحة للتربية هي التي تتم من خلال اللعب. (أي تتم التربية أثناء اللعب). لا بد من تربية الطفل في صغره من خلال القصص، لأن الرجل يتعظ بالوعظ أما الصغير فلا بد من ذكر بعض القصص لجذب انتباهه وتركيزه. وليست بالضرورة أن تكون هذه القصص من نسج الخيال، فإن المسيح الموعود عليه السلام كان يروي لنا حكايات وقصصًا واقعية، فكان أحيانًا يذكر لنا قصة يوسف وأحيانًا أخرى قصة نوح، وتارة كان يذكر لنا قصة موسى عليهم السلام، إلا أنها بالنسبة لنا كانت حكايات أطفال في حين أنها كانت قصصا واقعية. وكان عليه السلام يذكر لنا قصة الحاسد والمحسود الواردة في كتاب "ألف ليلة وليلة"، وإنها تحتوي على درس رائع سواء كانت واقعية أم من نسج الخيال. وهكذا تعلّمنا منه عليه السلام كثيرًا من التعابير والأمثال المتعلقة بهذه القصص. فالذريعة المثلى للتعليم في الصغر هي القصص، لا شك أن بعض القصص تكون تافهة لا معنى لها ومنكرة، ولكن هناك بعض القصص مفيدة لتعليم الأخلاق ولإعطاء الأطفال عبرًا ودروسًا عظيمة. يتم تعليم الطفل على هذا النحو في صغره، ولكنه عندما يكبر قليلا فأفضل شيء لتعليمه وتربيته هي الألعاب. (يأتيني بعض الوالدين ويقولون عن ابنهم إنه يلعب كثيرًا، فإذا كان الطفل يخرج من البيت ويلعب ألعابًا رياضية بدلا من الألعاب التلفزيونية فدعوه يلعب.) إن التعليم الذي يعطى للأطفال من خلال الكتب هو نفسه يعطى لهم من خلال الألعاب بصورة عملية، ولكن زمن التعليم بالقصص هو ما دون عمر انشغاله بالألعاب الرياضية.

فعلى الآباء أيضا أن يعطوا لأولادهم وقتًا. فلو ركّز الأبوان على تربية الأطفال وإنشاء علاقات الصداقة معهم وتربيتهم تربية صحيحة وربطِهم مع أنفسهم فلا بد أن تنحلَّ كثيرٌ من مسائل التربية التي يشكو منها الآباء والأمهات.

ثم يقول المصلح الموعود ﷺ بأن الهدف من سرد القصص للأطفال في صغرهم ألا يثيروا الضجة أو الشغب وبالتالي لا يضيع وقت الوالدين. ولكن إضافة إلى تحقيق هذا الهدف، لو كانت تلك القصص مفيدة لحياتهم المستقبلية لكان رائعًا. أما في هذه الأيام فلمنع الأطفال من الضجيج ولجلوسهم مبتعدين يضع الوالدان في أيادي أطفالهم "آي باد" أو يُجلسونهم أمام الحواسيب أو التلفاز. فلو كانت هناك بعض القصص المفيدة عليها فهذا جيد ولكن في معظم الأحيان تضيع أوقاتهم. أما الأطفال الصغار فيُمنع جلوسهم أمام التلفاز لمدة طويلة، لأنه أولا يؤثر في الرؤية إذا جلسوا لوقت طويل، ثانيا يقول الأطباء إنه يؤثر في تفكير الولد الأصغر من سنتَين بحيث تنصب اهتماماته في جانب ضيق واحد فقط، وفي بعض الأحيان تنشأ لديه أفكار سيئة.

باختصار، يقول المصلح الموعود ﷺ: كان المسيح الموعود عليه السلام يُسمعنا قصصا، فالفائدة المرجوة من سرد القصص في ذلك الوقت كانت تحصل بالتأكيد. فإن لم يكن يسرد علينا قصصا فكنا نُثير ضجيجا و لم يكن حضرته عليه السلام يستطيع أن يعمل. فكان من الضروري أن يُسكتنا بسرد قصص علينا، ولذلك كان يفرّغ نفسه ليحكي لنا قصصا في وقت الليل لكي نبقى نتسلّى وننام ويتمكن هو من أن يعمل. لا يعرف الطفل مدى أهمية العمل الذي يقوم به والداه، وإنما هو يثير ضجيجا إن لم يُعطَ وسائل التسلية والمتعة، ويكون الهدف من سرد القصة أن ينام الأولاد. كان الأبوان فيما مضى يجتهدان لتربية الأولاد، و لم تكن آنذاك تلك الأشياء التي جاءت في هذه الأيام وأغفلت الأبوَين عن تربية أولادهما من جهة، وأدّت إلى إضعاف علاقتهما بأولادهما من جهة أخرى، لذا ينبغي الانتباه لهذا الأمر. يقول ﷺ: قد اعترف الجميع بهذه الغاية من سرد القصص، وإن كانت هذه الغاية مؤقتة وتكون فائدتها مقتصرة على أن يتلهّى الأولاد بالقصص ويناموا، ويهدف منها الأبوان ألا يضيع وقتهما لذلك يُضجعانهم ويسردان عليهم قصصا أو يسرد أحدهما ويبقى الآخر منشغلا بعمله، أو يسرد أحد من الأسرة ويعمل باقي أفراد الأسرة براحة. لو سُردت قصص فارغة وعابثة في ذلك الوقت لتحقَّقت هذه الغاية، ولكننا لا نرضى بذلك بل يجب أن تُسرد قصص تفيد في ذلك الوقت أيضا.

أما عن أنّ الصداقات ينبغي أن تكون من نوع لا يسبب الدمار والهلاك فقد ذكر المصلح الموعود ﷺ حادثا، وهو أن المسيح الموعود عليه السلام كان يقول إنها حكاية قديمة إذ كان لشخص صداقة مع دبّ، كان قد ربّاه أو أحسن إليه في نائبة، لذا كان الدبُّ يزوره ويجلس عنده.

إنها حكاية خُلقت لإظهار حقيقة، لا شك أن الإنسان يربي الحيوانات ويؤلّفها ولكن عندما أروي حكاية عن المسيح الموعود عليه السلام فهذا يعني أنها قصة لبيان حقيقة أو لإعطاء درس. وأقول ذلك لكي لا يعترض العدو قائلا ما أحمق هؤلاء الناس الذين يظنون أن الدببة تزور البشر وتجلس عندهم، فمن شأن هذه الحكايات أن يتلقى المرء منها الدرس والعبرة، ويراد من الحيوانات فيها أناس يحملون خصائلها، أي يتصف الناس بصفاتها ويقومون بأعمال مشابهة لها. على سبيل المثال كان يُعبَّر في الحكايات القديمة عن بلاط الملك ببلاط الأسد ووزراء الملك وأمرائه بحيوانات أخرى، وكان الملك الذي تتحدث عنه القصة يقرؤها بمتعة.

على كل، كان الدبُّ صديقَ ذلك الشخص وكان يزوره، وذات يوم اعتلّت أمُّ ذلك الشخص وكان يهوِّيها بمروحة ويُبعد الذباب عنها، ولكن اضطرته حاجةٌ للذهاب إلى الخارج، فقال للدب بإشارة أن يُبعد الذباب ريثما يعود، فبدأ الدب بهذا العمل بكل إخلاص ولكن بما أن يد الحيوان تختلف عن يد الإنسان فلا يستطيع أن يحرك يده بسهولة مثل الإنسان، فكان الدب يُبعد الذباب ولكنه كان يعود مرة بعد أخرى، فظن أن عودة الذباب مرة بعد أخرى إلى أم صديقه لا بد أن يضايقها، فلعلاج هذا الأمر حمل حجرا كبيرا جدا ورماه على الذباب ليقضي عليه. لا شك أن الذباب قد مات ولكن مع ذلك تهشمت أم صديقه.

هذا المثال يعني أن بعض الأغبياء يصادقون الآخرين ولكنهم لا يعرفون أساليب الصداقة، ففي بعض الأحيان إنهم يُخلصون لأصدقائهم ولكنهم في الحقيقة يدمّرونهم، فلو كانوا مخلصين فعلا لما ذهبوا بهم إلى الكفر بل لو وجدوهم مائلين إلى الكفر لمنعوهم، ما أجمل الصورة التي رسمها النبي ﷺ للصداقة إذ قال: انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَال الصحابة رضي الله عنهم: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ ﷺ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ. (صحيح البخاري، كتاب المظالم وكتاب الإكراه) فليس المقصود أن تنصر أخاك في كل حال بحيث تمشي معه بحسب مرضاته، بل أصل الصداقة هو أن تهتم بمصلحته وإن كان ذلك بمعارضته في بعض الأحيان، وإن كنتم لا تفعلون ذلك فأنتم تُهلكونه أو تسيئون له بطريقة أخرى، معظم الناس لا يفهمون هذا الأمر.

قد قدّم المصلح الموعود رضي الله عنه مثالا لهذا الأمر من قاديان وقال: تنازع شخص مع أحد الناس، فشارك صديق له في هذا النزاع بحماس بغية أداء حق الصداقة أو ظنا منه أنه يؤدي حق الصداقة، ولكن الشخص الأول تراجع لفطرته السعيدة ورفع النزاع وتصالح، ولكن صديقه -الذي توغل في النزاع من أجله- ارتدّ. فالصداقات تنفع الأصدقاء وتقرّبهم إلى الله تعالى، كذلك تؤدي بهم في بعض الأحيان إلى الهلاك والدمار أيضا، وتؤدي إلى هلاكهم أنفسهم أيضا، فلا بد من استخدام العقل أيضا في تأدية حق الصداقات كما لا بد من كبح الثوائر أيضا.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: كان المسيح الموعود عليه السلام يُسمعنا قصة بأن دُبًّا كان صديقا لرجل، وكانت زوجة الرجل تنتقده بقولها: أي رجل أنت الذي صادق دبّا، وذات يوم تطاولت عليه بكلامها المسيء للدب وارتفع صوتها

لدرجة سمعه الدبُّ أيضا، فأخذ الدب سيفا وقال لصديقه اضرب بهذا السيف في رأسي. لا ينبغي التعجب من هذا الكلام، إنها مجرد قصة تخبر بأن بعض الناس يكونون في صورة الدببة وبعضهم في صورة الإنسان، ولكل إنسان فطرته، ويكون بعض الناس مثل الدب والبعض مثل حيوانات أخرى مع كونهم بشرا. فأنكر ذلك الشخص كثيرا ولكن الدب أصر على ذلك، فاضطر الصديق ليحمل السيف ويضرب به على رأس الدب مما أدى إلى تضرُّج جسده بالدم، فرحل إلى الغابة، وبعد سنة عاد إلى صديقه وقال له: انظر إلى رأسي، هل من أثر للجرح، فلما نظر لم يجد أي أثر للجرح، حينها قال له الدب: في الغابة أعشاب عالجتُ بها جرحي فالْتَأم واندمل تماما، ولكن جرح لسان زوجتك وما كانت تفوّهت به عليّ، لا يزال نازفًا في قلبي، إذنْ، جروح اللسان أشد من جرح السنان في بعض الأحيان، وسيف اللسان يصيب بجرح لا يُنسى أبدا، فعلى الجميع أن يراعوا هذا الشيء أيضا لأمن المجتمع وسلامه كما يجب مراعاة عواطف الآخرين أيضا، ولا ينبغي أن تطلقوا بلا سبب سهام اللسان التي تبقى جروحها نازفة دوما، وهذا هو الدرس الذي يجب على كل أحمدي أن يحفظه ويتذكره.

ومن واجب كل أحمدي أن يحافظ على إيمانه بعد بيعته للمسيح الموعود عليه السلام، وفي بعض الأحيان تفضي أمور تافهة إلى ضياع الإيمان كما ذكرتُ قصة شخص ضيّع إيمانه بسبب إعانته لصديقه وارتد، وفي بعض الأحيان يقول المرء شيئا خلاف مشيئة الله تعالى فيضيع إيمانه، لذا لا بد لنا أن نظل نحاسب أنفسنا. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: وُجد مثاله في قصة موسى عليه السلام، وكان المسيح الموعود عليه السلام يبيّن هذه القصة مرارا وتكرارا، يقال عندما خرج موسى عليه السلام من مصر ففي الطريق اضطُر للاشتباك مع العماليق، وهي قبيلة من ذرية نوح عليه السلام ويقال بأنهم كانوا أشد المعارضين لبني إسرائيل، باختصار، شعر ملِكهم بأنهم يكادون ينهزمون، وكان فيهم رجل رباني فطلب منه الملِك أن يدعو على موسى عليه السلام، فلما دعا جاءه الإلهام من الله تعالى بأن موسى عليه السلام نبي الله فلا ينبغي أن تدعو عليه. فقال للملِك إنه لا يستطيع أن يدعو على موسى. فلما علم الملك أن كيده لم ينجح اتخذ الحيلة التي اتخذها الشيطان لإخراج آدم من الجنة. فهذا هو طريق الشيطان منذ الأزل. فكما كان أغوى آدمَ بواسطة حواء فقد طلب الملك إعداد الحلِيِّ الكثيرة وسلَّمها لزوجة ذلك الصالح لتحرّضه على الدعاء ضد موسى، فحرضَتْه، لكن ذلك الصالح قال لها: إن موسى مقرَّب إلى الله فلا يسعُني الدعاء عليه. ولقد دعوتُ عليه سابقا فتلقيت الرد. لكنها أصرت قائلة هل من الضروري أن تكون الأوضاع نفسها الآن فادعُ عليه. فرضي أخيرا، فذهبوا به إلى مكان وقال هناك لا ينشرح الصدر، وبذلك غيَّر المكان مرتين أو ثلاثة. ولما كان قُدِّر له أن يضيع إيمانه فقد دعا على موسى. يقال في اللحظة التي دعا فيها على موسى أصاب الدمار قومَ موسى عليه السلام، فكان لا بد أن يظهر تأثير إيمانهم السابق، أي تسبب ضعفُ إيمانهم في إصابتهم بالدمار، فتعرضوا لخسارة مؤقتة. وفي الطرف الآخر هذا الرجل الذي كان مشهورا بالصلاح قد طار إيمانُه في صورة حمامة، أي قد تبخَّر إيمانه. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى كان قد نهاه عن الدعاء ضد موسى، لكنه دعا ضده

وعقابا على ذلك خسر مرتبة الصلاح وضاع شرف تقرُّبه إلى الله. يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ: صحيح أنها قصة ومعناها أنه كما تنفلت الحمامة من يد الإنسان كذلك طار إيمانه من القلب. فلما كان الإيمان يُنال بالجهد أي التسليم بأمر والتقدم في الإيمان يتطلب جهودا مرهقة، لكنه يضيع نتيجة النطق بجملة واحدة فقط ضد رضوان الله. لذا ثمة حاجة ماسة لأن يكون المرء متنبها كل حين وآن ويحاسب نفسه على الدوام.

يقول المصلح الموعود ﷺ لافتا الانتباه إلى ذكر الله انطلاقا من كلام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: كان حضرته يذكر عادة قول أحد الصلحاء باللغة الفارسية "دسْت با كار ودل بايار" أي ينبغي أن يكون الإنسان مشغولا في العمل بيده ويكون قلبه مشغولا في ذكر الله في الوقت نفسه. ومثل ذلك مشهور عن صالح آخر أن أحدهم سأله كم مرة ينبغي أن يذكر الله فقال له: هل يعدّ المرء مراتِ ذِكْرِ حبيبه؟ فالذِّكر الحقيقي هو ما يصدر دون عدّ وإحصاء. لكن في تعيين الوقت للذكر ميزةً أن الإنسان في ذلك الوقت المحدَّد يتخلى عن سائر أعماله من أجل حبيبه. ولما كانت كلتا الحالتين ضرورية لذا فالطريق الصحيح أن يكون ذِكر الله في صورة معينة أيضا. أما المستغرقون في أعمال مادية في العصر الحاضر فلا يستوعبون هذا الأمر، لكنهم يجب أن يخصصوا الوقت في كل حال، ويذكروا الله قياما وقعودا دون التحديد والتعيين ويذكروا مننه وأفضاله مرارا وتكرارا. يجب أن تكون الغاية المتوخاة لكل أحمدي أن يستمع إلى أمور الدين باهتمام ويسعى لحفظها والعمل بها. فالاستماع إلى الخطب والمحاضرات وحضور الاجتماعات وقراءة أي كتاب والتأثر به مؤقتا دون حفظه والعمل به لا يفيد الإنسانَ بتاتا. يقول المصلح الموعود ﷺ: ذات مرة بدأ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام سلسلة إلقاء المحاضرات في النساء لتربيتهن واستمر في ذلك لعدة أيام، ثم ذات يوم قال: ينبغي أن أفحص النساء لأي مدى فهمن كلامي. فسأل إحدى النساء التي جاءت من خارج قاديان: لقد مضت ثمانية أيام على إلقائي المحاضرات فأخبِريني ماذا قلتُ فيها. فقالت: إنما تكلمت فيها عن الله ورسوله لا غير. فتلقَّى صدمة كبيرة من هذا الجواب لدرجةِ أنه قطع سلسلة المحاضرات، وقال: ما زالت توجد في نسائنا غفلةٌ ويبدو أنهن بحاجة إلى التعليم البدائي جدا. فلا يملكن كفاءة للاستماع إلى الأمور الروحانية السامية.

يقول المصلح الموعود ﷺ: هذا هو حال بعض الرجال أيضا. أما أنا فأقول إن هذا هو حال الكثير من الرجال في العصر الراهن، ويلاحَظ العكسُ أيضا في بعض المواضع، حيث تملك النساء علما أكثر من الرجال. وحين يذكِّرن الرجال أن هذه هي أمور الدين ويجب العمل بها، فتصلني الشكاوى أحيانا أن الرجال يقولون إن الدين يعلِّم الكثير، أما نحن فسوف نعمل بما نرضى به. فاعلموا أنه حين يظهر مثل هذا التعنت ينحطّ الإنسان باستمرار ويبتعد عن الدين نهائيا. على كل حال يقول المصلح الموعود ﷺ: فانظروا مقابل ذلك إلى الصحابة كيف كانوا يستمعون إلى كلام النبي ﷺ ليلَ نهارَ ويستعدون للعمل به، فقد أخذوا منه كل صغيرة وكبيرة ولم ينشروها في العالم كله فحسب بل قد عملوا بها أيضا.

ثم من أهم واجبات أفراد الجماعة أن يقرأوا كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ويستفيدوا منها. لكن تذكروا أنه يجب أن تهتموا بهذه الأمور قصدَ العمل بها والاستفادة منها لا لمجرد الاستمتاع. فإذا قرأتم القرآن الكريم كاملا بنية الاستمتاع به فلن ينفعكم ذلك شيئا، أما إذا نطقتم بسبحان الله مرة واحدة متدبرين في صفات الله سبحانه وتعالى وحبا له، فسوف تساعدكم على قطع أشواط التقدم الروحاني الكثيرة. فقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ذات مرة في مجلس: أحيانا نسبح الله سبحانه وتعالى ونتطور به روحانيا كثيرا. لم أكن حاضرا في ذلك المجلس لكن شابًّا سمع ذلك وجاء إلي من هناك فورا وقال لي: لا أعرف ماذا قال حضرته اليوم. هذا الشاب لم يكن قد جرَّب ذلك، بينما كنت قد جربت ذلك حتى في ذلك العمر، مع أني كنت ابن ١٧، ١٨ ربيعا من عمري، فحين سمعت منه ذلك قلت له نعم هذا يحدث. قال كيف؟ قلت قد لاحظت مرات كثيرة أني قلت سبحان الله بلساني فشعرت أن روحانيتي ارتفعت كثيرا جدا، وهذه التسبيحة تكون منبعثة من القلب. فقال فور سماع ذلك بمنتهى الاحتقار: "لا حول ولا قوة إلا بالله". وكان سبب ذلك أنه لم يكن قد فكر قط في مدلول سبحان الله. إذ لم يكن يستفيد شيئا بترديد سبحان الله طول اليوم. أما أنا فكنت أعرف من خلال تجربتي الشخصية أنه حدث مرارا أني عندما قلت سبحان الله شعرت أني قد أصبحت مختلفا عما كنت في الماضي. فانظروا كيف بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا هذا المضمون بروعة. فمع أني لم أكن قرأتُ صحيح البخاري إلى ذلك الوقت لكن تجربتي كانت صحيحة. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ (*حيث يستطيع الإنسان النطق بهما بسهولة دون أي صعوبة*) ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ (*أي حين توزَن الأعمال يوم القيامة سيكون لهما وزنٌ كبير حيث ترجِّحان الكفة التي هما فيها*) سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ. يقول حضرته إني معتاد على ترديد هاتين الكلمتين ولاحظت أن روحي تقطع أشواط الرقي الكبير إثر النطق بهما حتى مرة واحدة. فالأصل أن نفكر في أوامر الله سبحانه وتعالى بجدية ونسعى للعمل بها، فالحقيقة أن الإنسان يشعر بتأثير التسبيح والتحميد الذي يصدر من صميم الفؤاد. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا لذلك حتى يولد فينا القوة للعمل، ويجعلنا نفوز برضوان الله، وأن نقوم بالتسبيح والتحميد الذي يرتقي بأرواحنا إلى الرفعة والعلو وننال قرب الله.